

المظهر التناسي في قصيدة الحكاية عند الشاعر حسب الشيخ جعفر

The Intertextual Manifestations in the Narrative Poetry by Poet Hassab Al-Sheikh Ja'far

أ.د. حميد يعكوب نعيمة: كلية التربية، جامعة الزهراء للبنات، العراق

إقبال حسين رسن: كلية الآداب، جامعة ذي قار، العراق

Prof. Dr. Humaid Ya'qoub Na'ema: Faculty of Education, Alzahraa University for Females, Iraq.

Email: hameedyakoob@utq.edu.iq

Mr. Iqbal Husain Rasan: Faculty of Arts, Thi Qar University, Iraq.

Email: mohaa4049@gmail.com

DOI: <https://doi.org/10.56989/benkj.v3i4.224>

المخلص:

هدفت الدراسة الى إبراز المظهر التناصي في القصائد الحكائية عند الشاعر حسب الشيخ جعفر، ولتحقيق هدف هذه الدراسة فقد استخدمت الباحثة المنهج التحليلي وتوصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج أبرزها: إن قصيدة الحكاية في شعر حسب الشيخ جعفر شهدت تناسلاً مع عدة مصادر تنوعت بين الدينية والتراثية والأدبية، وإن هذه التناصات هي حصيلة قراءات الشاعر والرصيد الثقافي الذي يمتلكه، وقد اغنى به نصوصه الشعرية. وأوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أبرزها: ضرورة اجراء دراسات للتناص في قصيدة الحكاية، وتسلط الضوء على دوره في تشكيل قصيد الحكاية شكلاً ومضموناً، وكذلك ضرورة تسليط الضوء من قبل الباحثين والدارسين على المرجعيات ومدى هيمنتها على الخطابات الأدبية.

الكلمات المفتاحية: التناص، المظهر التناصي، قصيدة الحكاية، الحكاية، حسب الشيخ

Abstract:

The study aimed to highlight the intertextual appearance in the narrative poetry by the poet Hasab Al-Shaikh Ja'afar. For achieving the objective of this study, the researcher used the analytical method. Thus, the study reached to a set of results, the most important of which is the narrative poem in Hassab Al-Sheikh Jafar's poetry witnessed intertextuality with various religious, traditional, and literary sources. The study recommended several recommendations, including the necessity of conducting studies on intertextuality in narrative poetry and shedding light on its role in shaping the form and content of the narrative poem.

Keywords: Intertextuality, Intertextual Manifestations, Narrative Poem, Narration, Hasab Alshaikh.

المقدمة:

يعد التناص من المفاهيم النقدية الحديثة التي وضعت لتفسير تداخل النصوص مع بعضها البعض بشبكة من العلاقات عبر استدعاء المبدع نصوص أخرى في سياق نصه، والتناص في أبسط صورته يعني (أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمن أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل)⁽¹⁾، وقد نضج هذا المصطلح واستوى على عوده على يد (جوليا كريستيفا) في العديد من محاولاتها المكتوبة في المجالات، وفي كتابها "نص الرواية"⁽²⁾، لكن أصول المصطلح الأولى تعود لأستاذها ميخائيل باختين الذي أسس له نظرياً، كما تذكر ذلك وفاءً له في كتاباتها الأساسية عن الإنتاجية التناصية في كتابها "سيميوتيك"⁽³⁾.

ترى جوليا كريستيفا أن التناص (هو النقل لتعبيرات سابقة أو مترامنة وهو "اقتطاع" أو "تحويل" وهو عينة تركيبية تجمع لتنظيم نصي معطى التعبير المتضمن فيها أو الذي يحيل إليه)⁽⁴⁾، وتضيف (إن كل نص يتشكل من تركيبة سيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى)⁽⁵⁾، والتناص في النقد العربي القديم (يأخذ معنى الاقتباس القرآني تارةً، وتارةً أخرى يأخذ معنى التضمن، أي الأخذ عن النصوص الأخرى المختلفة، التي تدخل في ثقافة الأديب الدينية، أو الأدبية أو التاريخية أو الفلسفية أو الأسطورية، التي يُضمنها في نصه الأدبي دون إشارة إلى مصادرها)⁽⁶⁾.

يرى الدارسون أن لا فكاك من التناص؛ لأنه لا فكاك لذاكرة الإنسان منه، فقد سعت دراسات لسانية ولسانية نفسانية، لصياغة عدة نظريات كنظرية "الإطار لمنسكي ونظرية المدونات ونظرية

(1) الزعبي، أحمد (2000): التناص نظرياً وتطبيقاً، ط1، عمان: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع: 11

(2) انجينو، مارك (1998م)، دراسات في النص والتناصية، ترجمة: محمد خير البقاعي، ط1، حلب، مركز الانماء الحضاري: 59.

(3) انجينو، مارك (1998م)، دراسات في النص والتناصية، ترجمة: محمد خير البقاعي، ط1، حلب، مركز الانماء الحضاري: 61.

(4) الزعبي، أحمد (2000): التناص نظرياً وتطبيقاً، ط1، عمان: مؤسسة عمون للنشر والتوزيع: 11.

(5) المصدر نفسه: 12.

(6) يوسف، آمنة (2015م)، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص184.

الحوار " لتفسير وضبط الآليات التي تتحكم في إنتاج النص وفهمه⁽¹⁾، وخلصت هذه النظريات بالتأكيد على أن (الكاتب أو الشاعر ليس إلا معيداً لإنتاج سابق في حدود من الحرية، سواء أكان ذلك الإنتاج لنفسه أو لغيره)⁽²⁾، ويتحقق التناص بين النصوص الإبداعية عبر عدة آليات وأهمها التداخي بقسميه التراكمي، والتقابلي الذي يفصل إلى التمثيط، والإيجاز⁽³⁾.

وبالوقوف عند التناص في قصائد حسب الشيخ جعفر الحكائية، فالباحث يرى غزارة هذه الظاهرة في حكاياته، لقد استلهم الشاعر التراث، وأعاد توظيفه من خلال الغوص فيه، وإعادة بعثه من جديد بصورة جديدة وظف فيها الماضي في الحاضر، ولم يقتصر الاستلهم على التراث بل كانت النصوص، والشخصيات المعاصرة مادة خصبة وظفها الشاعر في حكاياته، وحضور هذه النصوص والشخصيات في حكايات الشاعر، كان الهدف منها إنشاء رموز خاصة عبر توظيفها في نسيجه الشعري ليكسب النصوص حياة أخرى بمدلولات فكرية جديدة.

وأغلب الحكايات التي أبدعها حسب الشيخ جعفر خضعت لقراءات الشاعر، وكُتبت بتقاطع سلسلة من النصوص بقالب ونتاج أدبي جديد، وقد تنوع أسلوب حسب الشيخ جعفر في التناص من تضمين نص أو حشد رموز لخلق دلالة مضافة وصولاً إلى إنتاج حكايات على أطلال نصوص حكاية نثرية قديمة، فنجد تلك الحكايات تتصهر انصهاراً تاماً في نصه الإبداعي، فأشكال التناص عند حسب الشيخ جعفر تنوعت بين التناص الكلي، والتناص الجزئي، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ (التناص لا يكون بالمضمون فقط إنما يكون بالمفردات، والتراكيب، والبناء، والايقاع، والمحاكاة، والمعارضة، لأن النصوص السابقة متعلقة مع النص اللاحق بالغياب النصي، فهي وحدات متعالية في بنية النص)⁽⁴⁾، وقد تنوعت مصادر التناص عند حسب الشيخ جعفر، والقارئ لشعره يدرك ذلك التنوع، فهو المرآة التي يقف النص امامها لبيان اسراره، وتفكيك نسيجه وكشف الظواهر المشيدة له، فالتناص ظاهرة لغوية عصبية على الضبط والتقنين، ويُعتمد في تميزه على شدة انتباه القارئ، وسعة ثقافته وقدرته على الترجيح⁽⁵⁾، ومن اشكال التناص عند حسب الشيخ جعفر، التناص الأدبي والتناص الديني والتناص مع التراث والتناص مع الخرافة والأسطورة.

(1) مفتاح، محمد (1992م)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي: 124-123.

(2) المصدر نفسه: 125.

(3) المصدر نفسه: 125_127.

(4) الطعان، صبحي(1994م) بنية النص الكبرى، عالم الفكر ع 1_2: 446.

(5) مفتاح، محمد (1992م)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي: 131.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الآتي: كيف تقاطعت النصوص في قصيدة الحكاية عند حسب الشيخ جعفر وكيف حقق تداخل النصوص غنى للقصيدة الحكائية؟
ومنه تتفرع الأسئلة الآتية:

1. ما أبرز أنواع التناص في قصيدة الحكاية؟
2. ما مدى شيوع هذه الظاهرة في قصائده الحكائية؟
3. كيف انعكست ثقافة الشاعر على نصوصه الشعرية؟
4. ما دور التناص في إغناء القصيدة الحكائية؟
5. ما مصادر التناص في حكايات حسب الشيخ جعفر؟

أهداف الدراسة:

1. بيان دور التناص في إغناء القصيدة الحكائية وخلق دلالة مضاعفة للنصوص التي تشهد تناسلاً.
2. التعرف على أنواع التناص في حكايات حسب الشيخ جعفر الشعرية.
3. الإحاطة بالمظهر التناصي في القصائد الحكائية.
4. استعراض المصادر التي استقى منها الشاعر في تناصه مع النصوص الأخرى.
5. توضيح دور ثقافة الشاعر في انتقاء النصوص المتناص معها.

تقسيمات الدراسة:

احتوت الدراسة مقدمة ومبحثين، ركز المبحث الأول على التناص الأدبي و التناص الديني واشتمل المبحث الثاني على دراسة التناص مع التراث والأسطورة.

المبحث الأول: التناس الأدبي والتناس الديني

أولاً: التناس الأدبي:

شهدت حكايات حسب الشيخ جعفر الشعرية تناساً مع النصوص الأدبية، كالحكايات والروايات، وكذلك مع الشخصيات الأدبية، ويُعد التناس مع الحكايات النثرية من أبرز تلك التناسات التي شهدت إعادة كتابة الحكايات النثرية في قالب جديد، ضمن تشكيل شعري موزون ومقفى، وتُعد هذه الحكايات موطن تميز وانفراد الشاعر في هذا النوع الشعري فقد كانت حكاياته الشعرية مقابلة لحكايات أحمد شوقي الذي شقَّ طريق هذا اللون الشعري عربياً، ويمثل ديوان أعمدة سمرقند الموطن لهذا النوع من الحكايات.

أولاً: التناس مع الحكايات

شهدت قصائد حسب الشيخ جعفر الحكائية تناساً مع الحكايات النثرية ومن تلك الحكايات حكاية (صنم يتحطم)⁽¹⁾ -

دخل الحمارُ مدينةً، وقد اعتلاه
صنمٌ من الخشبِ المموه فتنةً لناظرينا
يسعى به عجلان سائقه، فأسرع من خطاه
خبباً إلى أحد المحافل في أثينا

* * *

فإذا ادنى انحنى الرقاب تحيةً وتعبداً
وتجمّعوا، عند الوداع، ملوحين
وتلمّستهُ العابراتُ من النساءِ تودداً
يسألن آمالاً تَغُورُ برُقُها في كل حين

* * *

فتداركُ الكبُرُ الحمار، وهزّ مشيته الغرور

(1) جعفر، حسب الشيخ (1989م)، أعمدة سمرقند، ط 1، بيروت، دار الآداب : 90.

وزها اختيلاً بين أبصار العباد

وأبى التحركُ خُطوةً، وجفا العبور

فعدتُ سياطُ السائقِ العاتي عليه بلا انتاد:

* * *

(أظنُّ أن القومَ قد جهلوا بعيداً في الخيار

ليطأطئوا رأساً، ويعلو في معابدهم حمار؟)

الحكاية هي إعادة إحياء حكاية قديمة (كبرياء الحمير)⁽¹⁾ لايسوب، جاء التناس مع الحكاية النثرية تناساً في المضمون، والتراكيب، والأفكار، وكذلك المغزى الأخلاقي من الحكاية، وللقارئ أن يدرك حجم التلاقي بين النصين، مع أضفاء الشاعر على النص لمسة خاصة بذكر مشهد النساء اللاتي يطلبن حاجاتهن بلمس الأضرحة فهذا المشهد جزء من ثقافة الشاعر التي وجدت طريقها في سياق هذه الحكاية لتلائمها مع مشهدية تقديس الرموز الدينية في مختلف الأزمان، القيمة المتوخاة من الحكاية قيمة متكررة في كل مكان وزمان، فلا يمكن للإنسان أن يتجاهل حقيقته، ويتباهى بما ليس فيه لأنه ؛ سيكون موضع للسخرية من المحيطيين به.

ثانياً: التناس مع الروايات

ومن أمثلة التناس مع الروايات قصيدة: (دون كيخوت)⁽²⁾:

شططاً أخوا الوثبات! لا سانجو وجدت ولا الأماره

طردوه أو هرب الحكيمُ مروّعاً، متضوّراً

لا بدّ من أن نستحثّ خُطى، ونُمعنَ في الخساره

ونكرّ في وجه الطواحينِ البغاتِ تهوِّراً

* * *

(1) نص الحكاية، (كان الحمار يجوب شوارع المدينة وهو يحمل فوق ظهره تمثالاً لأحد الآلهة ولاحظ أن الناس يسجدون له في إجلال وخشوع كلما مرّ بهم فظن أنهم يظهرون له الاحترام، فأخذ يتباهى فرحاً، وينهق ويرفض أن يتزحزح من مكانه خطوة واحدة، اندهش صاحبه من موقفه وإنهال عليه بالعصا وهو يقول: (يا غبي! ستكون نهاية العالم لو أن الناس انحنوا للحمار!)، حكايات إيسوب، تر: عبد الفتاح إمام: 72.

(2) جعفر، حسب الشيخ (1989م)، أعمدة سمرقند، ط 1، بيروت، دار الآداب: 36.

روزنانت يذرعُ صيفَ (أوربا) هزيلا

متلفتاً بين المصارفِ والمطاراتِ المطيره

لا قَشَّةٌ في (البونش) تمنح حلمه الصافي الصهيلا

لا فاقعَ الأصباغِ غطّى وجهَ دولسينا الغريه

* * *

الناطحاتُ تمجُّ أوشالاً، وتعلّكها السقيفه

لا ظلّ منك ينثُ فوق وجوها الصفر اللعينه

لا طيرَ منّا يألّفُ الغرفَ الوريه

فأشخ بسُكناك ازدرأء، واستكنّ إلى السكينه

* * *

وتقائف اللهبُ الفصاحة والسفاهه

العقلُ أسلمَ فارسَ الظمأ الجميلِ إلى الوجاهه

نجد رواية (دون كيخوتي دي لامانتشا) للأديب الأسباني (ميغيل دي ثيربانتس سابيدرا) ترد بصورة موجزة عبر النقاط الشاعر للحدث الأهم والشخصية الأبرز في الرواية ونسج حكايته على اطلالها، إن ما تحمله هذه الرواية من صدى عند القارئ أتكأ عليه الشاعر في صياغة حكايته، اذ يستلهم عنوان الرواية، ويجعلها عنواناً لنصه ؛ لأنها تمثل مادة غنية قادرة على لفت انتباه القارئ وشده لما لها من رصيد لدى القارئ، فالعنوان في المنجز الشعري الحديث غدا جزءاً من استراتيجية النص، فهو العتبة التي قد تكون جاذبة للقارئ أو صادة له⁽¹⁾، وهو (أول شيفرة رمزية يلتقي بها القارئ، فهو أول ما يشد انتباهه وما يجب التركيز عليه وفحصه وتحليله، بوصفه نصاً أولياً يشير، أو يخبر، أو يوحي بما سيأتي)⁽²⁾.

لقد استلهم الشاعر من شخصية دون كيخوت روح المغامرة من ذلك البطل الذي يجوب أوربا ويواجه العالم، في عالم متخيل موازي يخلقه لنفسه، فالشاعر يجد في تجربته، وغربته تشابه مع تجربة الشاعر لكن الشاعر حمل القلم وكتب قصيدته ليترجم نظرته للعالم وما يسوده بكلمات منظومة، بينما

(1) قطوس، بسام موسى (2001م)، سيمياء العنوان، ط1، عمان _ الأردن، وزارة الثقافة: 57.

(2) المصدر السابق، ص53.

دون كيخوت حمل السيف، وأمتطى جواده لينشر قيم العدل في العالم، بطابع من السخرية التي كانت حاضرة بمظهر، وتصرفات بطل الرواية التي تمثل نقداً للقيم الاجتماعية السائدة، ومحاولة تغيير الواقع خيالاً.

إنّ وقع هذه الرواية على الشاعر وتأثره بها جعلها بمثابة الأم لهذه القصيدة الحكائية، وذلك يرجع الى (حتمية اندماج المقروء الثقافي للشاعر في ذاكرة الشاعر ثم تسربّه إلى عالم القصيدة من خلال اللغة أو الصورة أو الأسلوب أو الرؤية)⁽¹⁾، هو ما يفسر ذلك التداخل مع النصوص السابقة والمعاصرة للنص المكتوب.

ثانياً: التناسل الديني

يمثل النص الديني مادة غنية امتزجت بوجودان المبدع والقارئ على حدٍ سواء، فالتناسل مع الموروث الديني ظاهرة عمد لها الشعراء في مختلف العصور، ويمثل القرآن الكريم من أهم صور التناسل الديني حضوراً في النصوص الإبداعية سواء بالفاظه أو معانيه أو الاقتباس من آياته المباركة: لقد حضر التناسل الديني في حكايات حسب الشيخ جعفر، وتنوع بين ذكر شخصيات دينية، أو الإشارة لقصص، أو أحداث وردت في القرآن الكريم، ونجد ذلك في حكايته (منطق الطير)⁽²⁾:

سائح ضيّع ما في الخُرَجِ إلّا درهمين
فأبتلته وحشة المملق في سوق الحمى
وشجته، في حبال الأسر، شكوى هدهدين
فأبى الصياد في الطائر، إلّا درهما

* * *

قال: (لا فرقُ بين اثنين) وابتاع وسارا
وبعيداً عن فضول العين، في الأيك المندى
أطلق الألفين للريح فطارا
واستدارا في حنوّ: (يا أخا الرفق المفدى!

(1) الزعبي، أحمد (2000م)، التناسل نظرياً وتطبيقاً، ط1، عمان_الأردن، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع: 153.

(2) جعفر، حسب الشيخ (1989م)، أعمدة سمرقند، ط 1، بيروت، دار الآداب: 74.

* * *

تحت هذي النخلة الفرعاء تغفو في انتظار

جرّة الكنز الدفين الذهبيه

ما اهتدت كفتُ اليها أو سفت عنها الغبار

منذ أهوت بسليمان عصاه الخشبيه!

* * *

(أتدّان على الخافي، وما أبصرتمُ بالشبكات؟)

(لا تسلّ! ما أوقعتنا غير هذي الشبهات!)

وظف الشاعر في هذه الحكاية قصة النبي سليمان (عليه السلام) وفق ما يتلاءم مع تجربته، فعمد الى دمج الملفوظ القرآني في سياق النص الشعري، ويتجلى الأثر التناصي عبر الإحالة لقصة النبي سليمان، فيقاطع الشاعر بين الكنز المدفون الذي كان نصيب السائح كجزاء له، وإن دُفن منذ زمن بعيد (منذ أهوت بسليمان عصاه الخشبيه!)، وبين مشهد وفاة النبي سليمان (عليه السلام) الذي لم يُكتشف إلا بعد أن هوت عصاه فالشاعر لم يذكر تلك التفاصيل إنما يذكر ما شاع، فهو يربط المشهدين معاً، الربط بينهما كان موافقاً لثقافة الشاعر الدينية التي انعكست على النص، كما أنّ اختيار الشاعر للهدهد من بين سائر الطيور يتلاءم مع دور الهدهد الجالب للأخبار في قصة النبي سليمان؛ فالحكاية الشعرية في أكثر من جزء منها تحيل لقصة النبي سليمان (عليه السلام).

لقد جاء التناص في الحكاية ملتحمًا وممتزجًا فهو جزء من بنية النص غير منفصل عنها، فالشاعر يستوحي من تلك القصة مادة ملهمة، وغنية يستطيع أن ينهل منها لصياغة نصوصٍ بأفكار ورؤى جديدة مستغلًا ما لهذه القصص من رصيد في وجدان القارئ، وما تضفي من جمال وروعة على نصوصه.

المبحث الثاني: التناص التراثي والأسطوري

أولاً: التناص مع التراث:

استدعاء الشاعر للتراث بمختلف أشكاله الأدبي، أو الديني، أو التاريخي، أو الطقوس، والشخصيات التراثية، وتوظيفها في حكاياته إنما هو عمل يحمل معه نقل تجربة الشاعر المعاصرة بالإفادة من الرصيد الذي يمتلكه التراث في وجدان القارئ، إذ إن الاستدعاء يكسب تجربة الشاعر

غنى، وأصالة وشمول⁽¹⁾، وهو بهذا التوجه يضمن تأثيراً مضاعفاً لنصوصه الحكائية، وقد بدأت علاقة الشاعر بالموروث بالتعبير عن الموروث بمعنى تسجيل التراث وعرضه بدون إضفاء دلالات معاصرة ثم انتقل لاحقاً إلى المرحلة الثانية، وهي التعبير بالتراث من خلال توظيفه فنياً للتعبير به عن التجارب الشعرية المعاصرة⁽²⁾.

وقد انتقل الشاعر في العصر الحديث (من مرحلة توظيف التراث بشكله البسيط إلى مرحلة التناص معه بما للتناص من آليات، وغايات متنوعة تسعى إلى الهدم، وإعادة البناء ومن ثم التجاوز)⁽³⁾، ومن أمثلة التناص مع التراث حكاية (الطائي والقن)⁽⁴⁾:

سَرَّحَ، في العَشِيِّ، عينيه فما استسَرَّ أو بدا
من سانحٍ أو بارحٍ ما امتدَّت الرمال
وكوَّرَ القِنَّ على الجُذوة، كَفَّيه وأخلدا
إلى اكتناه الليل قي جثومه، فهِرَّه وقال:

* * *

(أوقدْ فإنَّ الليلَ قَرَّ، والخطى صدوف
والريح، يا موقدْ، ريحٌ صرُّ!
عسى يرى ناركَ من يمرُّ أو يطوف
إن جلبتُ ضيفاً فأنت حرُّ!)

* * *

فنَقَّضَ الجمرَ الفتى، وقال: (ما أشعلتها إلا اصطلى
بوقدها طاو، وجَرَّ الكِبشُ في مساحِبِ النجيع !

(1) زايد، علي عشري (1997م)، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي: 17.

(2) المصدر السابق، ص25.

(3) واصل، عصام حفظ الله (2011م)، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، ط1، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع: 24.

(4) جعفر، حسب الشيخ (1989م)، أعمدة سمرقند، ط 1، بيروت، دار الآداب: 96.

فان أتى ولم تَجْدْ زاداً فطِبْ، واذْبَحْ له المهلهلا

إبني أو اذبحني أنا، إن لم يفِ الصريع!

* * *

فقال: (قُمْ فَأَنْتَ حُرٌّ جَاءَنَا أو لم يجيئ نَارَ القرى

ساع.. وكن ضيفي، فأني خاضب لك الثرى!)

صاغ الشاعر هذه الحكاية بالتناص مع التراث عبر استدعاء شخصية حاتم الطائي الذي كان ولا يزال مضرب الامثال في الكرم، فقد كان يحسن اكرام الضيف، الحكاية قائمة على التناص، وإعادة الشاعر صياغة موقف لحاتم الطائي مع غلامه، وللقارئ أن يلحظ ذلك التناغم، والاسترسال في سرد الحكاية الى درجة أنه يرى الحكاية نقل حادثة عن راوٍ عليم.

تشكلت مقاطع الحكاية يعزز احدها الآخر لبيان رسوخ صفة الكرم لدى الطائي، ففي المقطع الأول يوقظ الطائي الغلام لكي يوقد النار تحسباً لمجيء عابري السبيل الى أن يصل به الامر في المقطع الثالث الى الطلب من الغلام أن يذبح أبنه (ابن حاتم الطائي)، أو حتى يذبحه اذا ما حل بهم ضيفٌ ما، وهنا نرى تجلي أعلى درجات المبالغة.

التناص في هذه الحكاية مُتَكَيٌّ على التراث ممّا أكسب النص الجديد المُصاغ شعراً جمالية، وقوة إبداعية لما له من أثر بالغ في وجدان القارئ، كما يبدو أنّ هدف الشاعر هنا إعادة احياء التراث.

ثانياً: التناص مع الخرافة والأسطورة:

يبدو أن التناص مع الخرافات والاساطير حاضرٌ في حكايات حسب الشيخ جعفر الشعرية، فالأساطير وإن كانت ترتبط بطفولة الشعوب، وبالتفسير البدائي للوجود ولمختلف الظواهر الطبيعية فأنها (ما تزال تعيش في ضمائر الناس على نحو آخر، بل ربما قامت بدور كبير في توجيه حياة الفرد والجماعة لا يقل في أثره عن الدور الذي كانت تؤديه في عصر الأسطورة نفسه)⁽¹⁾، بوصف الشعر والاسطورة يرتبطان بالتجربة الإنسانية⁽²⁾، وعودة الشاعر المعاصر الى الأسطورة هي بمثابة

(1) إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، ط4، القاهرة، دار غريب: 190.

(2) كاملي، بلحاج (2004م)، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (قراءة في المكونات والأصول)، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب: 32.

(عودة الى منابع التجربة الإنسانية، ومحاولة التعبير عن امتداداتها في وقتنا الراهن بوسائل عذراء لم يمسسها الاستعمال اليومي فيمحي عنها صفة القداسة والسحر)⁽¹⁾.

لقد حضرت مختلف الاساطير في تجربة الشاعر، فكانت أساطير كتموز، وعشتار وفيدرا، وأوفيليا، حاضرة في حكاياته الشعرية، ومن أمثلة التناص مع الأسطورة حكاية (ليلة الزفاف)⁽²⁾:

قيل: أحبّت هِرّةً فتىً جميلاً، أهيفاً

فلم تزل تسألُ عشتارَ صباحاً ومساءً

أن تلمسَ الرأسَ لها أو أن تباركَ القفا

فَتُصَبِّحَ الهِرّةُ أحلى امرأةٍ بين النساءِ

* * *

وبينما الرّبةُ، في مرورها، ببابلَ المسوّرة

رَقَّتْ لها، فانقلبَتْ إلى فتاةٍ غانية

ما إن رآها البابليُّ، مرةً، بالطلعةِ المنوّرة

فما انتنى إلّا بها، وهي عروس زاهية

* * *

وبينما هما معاً ينتجيان، ساعةً، قبل الكرى

أوحَتْ إلى الفأرةِ عشتارُ: أخرجي وطوّفي

وأبصرْتُ بها العروسُ، فارتمت على الثرى

تجري وراءَ الصيد كي تُطفي هوىً وتشتفي

* * *

فقالَت الرّبةُ: (عودي هِرّةً يا ساهيه!)

فانعطفَتْ، تجرُّ ذيلًا أشهبًا، كما هي!

(1) المصدر نفسه: 23_33.

(2) جعفر، حسب الشيخ (1989م)، أعمدة سمرقند، ط 1، بيروت، دار الآداب: 53.

يعمد الشاعر الى تقديم حكاية جديدة على خلفية حكاية قديمة⁽¹⁾. إن الممارسة الفنية تكشف لنا ذلك التداخل بين الفنون الأدبية، وغير الأدبية عبر تلاحق النصوص في إطار نص ابداعي واحد تشكل بطريقة بنائية، استقى الشاعر فيها مرجعية اسطورية في بناء نصه إضافة الى المرجعية الأدبية المتمثلة بالحكاية النثرية، تناص الشاعر مع اسطورة عشتار وجعلها أحد أطراف بناء نصه حيث علق نصه بهذه المرجعية، إذ رأى وجود موطن للأسطورة التي تقول بقدره الآلهة عشتار على تغيير الاقدار، وفعل المستحيلات.

نلاحظ في هذه الحكاية الشعرية أنّ الشاعر مازج بين أمور خارجة عن النواميس الطبيعية، خرافية كتحول هرة الى فتاة، مع أسطورة الآلهة عشتار ذات القدرات الخارقة.

لقد بدا النص مفعماً بالتشويق والغرابة، والحكاية ذات مغزى أخلاقي تعليمي، فيجدر بالشخص ألا يتقنع، ولا يظهر خلاف ما هو عليه لأن أبسط المواقف كفيلة بكشف الحقيقة، وقد رأينا كم كان الثمن باهظاً، فقد أفسد عليها يوم كان من المفترض أن يكون أسعد يوم في حياتها.

وبعد استعراض تلك النصوص التي شهدت تداخل بنيتها مع نصوص سابقة لها يمكن القول: إن ذاكرة المبدع تتميز بقدرتها على امتصاص العناصر الإبداعية السابقة أو المعاصرة لها ثم تمثّلها بعملية انتقائية في النصوص⁽²⁾.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج على النحو التالي:

1. حملت بنية النصوص الحكائية الكثير من المصادر تنوعت بين الدينية، والتراثية، والأدبية، والخرافية، والاسطورية، لقد حاول الشاعر صهر هذه المصادر في حكاياته الشعرية مضيفاً لها إحياءات جديدة، بما يتلاءم مع رؤيته الشعرية، وما يتطلبه واقعه الراهن.
2. إن هذه التناصات هي حصيلة قراءات الشاعر والرصيد الثقافي الذي يمتلكه، وقد اغنى به نصوصه الشعرية.

(1) حكاية مسخ الكائنات لايسوب نص الحكاية (فُتنت القطعة بشاب وسيم فذهبت إلى الإلهة (أفروديت) إلهة الجمال وتوسلت إليها أن تحولها إلى امرأة ورأتها الإلهة حزينة فأشفقت عليها وحولتها إلى فتاة جميلة، وعندما رآها الشاب وقع في غرامها في الحال، وأخذها إلى المنزل ليتزوجها، وعندما ذهباً ليسترى في غرفة النوم، أرادت (أفروديت) أن تعرف هل تحولت غرائز القطعة مع تغير شكلها، فأرسلت فأراً يجري أمامها، فنسيت في الحال ما آلت إليه وقفزت من الفراش، وجرت خلف الفأر لتأكله. عندئذ أعادتها الإلهة، وهي ناقمة عليها، إلى حالتها الأصلية).: حكايات لايسوب: 68.

(2) الطعان، صبحي (1994م)، بنية النص الكبرى، عالم الفكر، ع، 1-2: 446.

3. تنوعت التناصات في قصائده الحكائية بين التناص الكلي والتناص الجزئي.
 4. منح حسب الشيخ جعفر بعض النصوص الغائبة حياة جديدة في نصوصه الحكائية.
 5. عزز حسب الشيخ جعفر دلالة نصوصه بالاتكاء على الرصيد الذي يمتلكه النصوص الغائبة من رصيده لدى القارئ.
- أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات الآتية:
1. دراسة تقنيات التناص في القصائد الحكائية.
 2. دراسة التناص في شعر حسب الشيخ جعفر.
 3. الاهتمام والتركيز على دور الرصيد الثقافي في صقل موهبة الشاعر وكيفية انعكاسها على نتاجه الأدبي.
 4. ضرورة تسليط الضوء من قبل الباحثين والدارسين على المرجعيات ومدى هيمنتها على الخطابات الأدبية.

قائمة المصادر والمراجع:

- إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، ط4، القاهرة، دار غريب للطباعة.
- إمام، عبد الفتاح إمام (2000م)، (دراسة وتعليق وترجمة)، حكايات إيسوب، ط1، دار المدى للثقافة والنشر.
- انجينو، مارك (1998م)، دراسات في النص والتناصية، ترجمة: محمد خير البقاعي، ط1، حلب، مركز الانماء الحضاري.
- جعفر، حسب الشيخ (1989م)، أعمدة سمرقند، ط1، بيروت، دار الآداب.
- زايد، علي عشري (1997م)، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي.
- الزعبي، أحمد (2000م)، التناص نظرياً وتطبيقياً، ط1، عمان_الأردن، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع.
- الطعان، صبحي (1994م) بنية النص الكبرى، عالم الفكر ع 1_2: 446.
- قطوس، بسام موسى (2001م)، سيمياء العنوان، ط1، عمان _ الأردن، وزارة الثقافة.

- كاملي، بلحاج (2004م)، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (قراءة في المكونات والأصول)، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- مفتاح، محمد (1992م)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ط3، بيروت، المركز الثقافي العربي.
- واصل، عصام حفظ الله (2011م)، التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر، ط1، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع.
- يوسف، آمنة (2015م)، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط2، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.